

# المقطف

الجزء الثامن من السنة السادسة عشرة

١ مايو ( ايار ) سنة ١٨٩٢ الموافق ٤ شوال سنة ١٣٠٩

## تاريخ التعليم

بما اختلف الناس في مذاهبهم السياسية وامانيهم الوطنية فهم منقسمون على اثة لا فلاح ولا استفلال الا بانتشار التعليم والتثديب . وقد بظن العامة ان تعلم القراءة والكتابة ومبادئ اللغة والحساب وتلقي لغة اجنبية والتعمق في صناعة الانشاء والافتاه تقوم بالفرض المطلوب وتؤهل ابناء العصر المقبل لمجاراته الاوربيين ومسايرتهم في ميدان الحضارة . ولكن الباحث في تاريخ التعليم الناظر في حقيقته يرى انة قد صار الآن صناعة محكمة مبنية على ادق المباحث العقلية والسيولوجية وانه لا يقتصر على ما تقدم بل يتناول تربية قوى النفس والعقل والبدن وتأهيلها لاعظم الاعمال واجبا وان نسبتها الى طرق التعليم القديمة او الى الطرق التي لم تزل متبعة في بلادنا ندية صناعة الطب الحديثة المبنية على المكتشفات العلمية الى الصناعة القديمة المبنية على الحدس والتجارب الاتنافية وانه لا تقوم للشعوب الشرقية ما لم تجار الشعوب الغربية في طرق التعليم والتثديب . وقد جمعنا في هذه المقالة شذورا من تاريخ التعليم بين منها تدرجه في الارتفاع الى ان بلغ عصرنا هذا ولم نعرض للذكر تاريخ مجوع عند الهنود والصينيين وغيرهم من ام المشرق الاقصى لان طريقة عدم عقيمة وقد كان من نتائجها وقوف تلك الام على درجة واحدة من العمران منذ اكثر من التي سنة الى الآن

طاول من عني بامر التعليم من ام المغرب اليونانيون وقد قسموا العلم الى قسمين الموسيقي والرياضي ارادوا بهما كل ما يميز قوى العقل والجسد فكان شأهم يرتون ابدانهم بالمناصرة والمصارعة وبنفاكرون في خلال ذلك مع اساتذتهم في اسمى المواضيع الادبية والفلسفية كالصلاح والجمال والعدل . اما الرومانيون فاعتنوا بالخطابة من فنون العلم

وإهلوا النية لانهم عدوا اكناسها سهلاً على كل احد حتى قال شيشرون ان كل احد يستطيع  
 ان يصير قاضياً في اسبوع من الزمان وقال غيره ان كل احد مستعد بالطبع ليكون قائداً  
 وحاكماً . الا انهم وسعوا نطاق الخطابة جداً حتى اذا اعتبرنا الفرائط التي اشترطها  
 كورنيليانوس احد مشاهير كتابهم لصيرورة الانسان خطيباً وجدنا انه جمع تحتها كل ما  
 يوهل الانسان للاعمال العمومية والمخصوصة في السلم والحرب وللقيام بها بالحكمة والصلاح  
 وخلاصة ما قرره فلاسفة اليونان والرومان كغاية التعليم الجلي ان الانسان جميل  
 بالطبع ذكي يجتهد شغوق مبال الى الاستدلال والاستنتاج محب للذات كاره للاستعباد  
 متطلب لكشف الاسرار متمكك بحبال الرجاء طامع باسمي الطالب يعلم ان كل ما في الدنيا  
 ظل زائل وان الحياة الاخرى هي الباقية وانه فصيح بالطبع حريص على ما ينفعه وان خبره ما  
 يفعله حفظ استقلاله والمدافعة عن وطنه وقيادة الجيوش في القنار الشاسعة وانشاء الطرق  
 والحصون والتسلب على الاعداء واستئصال شائهم . وظاهر الامران طريقة التعليم التي اتبعوها  
 بلغتهم هذه المني ولكننا لم نقابل رجالهم برجال غيرهم من الامم الا رجعنا منتسبين ان طرق تعليمهم  
 لم نعلم غايه شريفة بتعذر البلوغ اليها بغيرها بل انها كانت كطرق الزراعة التي ليس لها  
 اس عليّة فان الارض الجيدة تنتج بها غلة وافرة وغير الجيدة لا تصلح بها وقد اتتج شيئاً او كاساليب  
 الطب القديمة يشفي بها من كان يشفي بغيرها ولما تزيل علّة او تخفف الآل . ومع ذلك فان  
 اساليب التعليم عند اليونان والرومان كانت ارقى مما صارت اليه في القرون الوسطى  
 ولما انتشرت الديانة المسيحية في المملكة الرومانية كان المسيحيون يتقنون دروسهم في  
 مدارس الوثنيين في اوربا واسيا وافريقية وبنيت هذه المدارس يانعة الى القرن الخامس  
 ولكن المسيحيين غادروها لما اعظم امرهم وانشأوا مدرسة في الاسكندرية اشتهر منها اكليندس  
 الاسكندري واوريجينوس واقتدى بهم اهالي ايطاليا وحظروا على بنهم ثلثي العلوم في مدارس  
 الوثنيين . وانتصت مدارس المسيحيين الى قسمين كبيرين الواحد غرضه التعاليم الدينية وهو  
 في الادب تحت سيطرة الرهبان والثاني غرضه تربية النرسان واهل القيادة وكان في انصوور  
 ودور الامراء . اما المدارس الاولى فكانت تعلم قواعد اللغة والمنطق والبيان والموسيقى والحساب  
 والهندسة والفلك وهي العلوم السبعة التي كانوا يفاخرون بها ويمجسون التخلع منها منتهى  
 العلم والحكمة . وكان الطلبة مطالبين باطالة الصلوات والاقامة في الكنائس ساعات كثيرة  
 ونسخ الكتب الدينية وتزويقها وكان المدرسون قساة صارمين يلبأون الى السوط كلما رأوا  
 من التلامذة عناداً او اهمالاً حتى كان الطالب يعد المدرس خصماً له والدروس حملاتاً

لا راحة إلا باطراد ولو دامت الحال على هذا الموال لانظماً نور المعارف ولم يبق لها عين ولا اثر

والمدارس الثانية وهي مدارس الامراء والفرسان واهل السيادة كانت تعلم الفراسة والسباحة والرمابة والملاكمة والصيد ولعب الشطرنج ونظم الاشعار. وبظهر الفرق بين المدارس الاولى والثانية في نظر كل منها الى المرأة فان المدارس الاولى كانت تعلم طلبتها ان المرأة اصل كل الشرور والبلايا ولا راحة ولا سعادة الا بالابتعاد عنها واختيار الرهبنة. والمدارس الثانية كانت تعلم طلبتها ان نعيمهم في هذه الدنيا وخير جزاء ينالونه فيها ان يرضى النساء الشريفات عن اعالمهم ويقابلنها بالبشر والاياس وان المرأة الناضلة مثال لما يكون عليه الابزار في الحياة الاخرى

وبما كانت اوربا تغبط في ظلام الجهل الدامس كانت الممالك الشرقية قد خضعت لاقوام المحكمة ضالتم وجدوها في كتب اليونان فنقلوها الى لغتهم وعكف جمهورهم ومن الفرس والسريان والروم الذين تدبوا بدينهم او جأوا الى حياهم على شرحها ونشرها وأنشئت المدارس الكبيرة في دمشق وبغداد ومصر والاندلس ولكن طريقة التعليم لم ترتقي في عيديم بل لم تبلغ ما بلغت عند اليونان لانهم اتبعوا طريقة الاوربيين الشائعة لهدم فكانوا يدرسون الحساب والمنطق والمنسنة والفلك والطبيعات وزادوا عليها الجبر والمتالبة واصول الدين ولم يجعلوا التعليم علماً ولا يبحثوا في اساليبه. وجهد ما اشار به بعضهم اساليب عملية متبسة من التجارب كطريقة ابن الاثير لاكتساب ملكة الانشاء وابن رشد لاكتساب ملكة اللغة اما طريقة ابن الاثير التي ذكرها في كتابه الوشي المرقوم فهي استظهار القرآن الكريم وما يقارب حجة من الاخبار النبوية والاشعار الكثيرة بناء على انه هو حفظ القرآن وكتاب الحجة وديوان ابي تمام وديوان الجعفري وديوان المتنبي وكان يكرّر عليها بالدرس منه سنين حتى يتمكن من صوغ المعاني. ولم يشر بحفظ الخطب والرسائل ونحوها من الكلام المنثور. واما طريقة ابن خلدون التي ذكرها في مقدمته فهي ان على طالب ملكة اللسان المضري ان يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم المجاري على اساليبهم من القرآن والحديث وكلام السلف ومحاطبات فحول العرب في اجتماعهم واشعارهم وكلمات المولدين ايضاً في سائر فنونهم حتى يتزل ككثرة حفظهم المنظوم والمنثور مترلة من نشأ بينهم ولئن العبارة عن المتناصد منهم ثم يتصرف بعد ذلك في التعبير عما في ضميره على حسب عباراتهم وتأليف كلماتهم وما وعاء وحفظه من اساليبهم وترتيب الفاظهم فتمصل له هذه الملكة بهذا

المحفظ والاستعمال ويزداد بكثرتها رسوخاً وقوةً. إلا ان ابن خلدون ذكر شرطاً آخر  
لبلوغ هذه الغاية وهو ان الطالب "يحتاج الى سلامة الطبع" أي يجب ان يكون مستعداً  
بالطبع للبراعة فيبرع في امتلاك ملكة اللسان

والاسلوبان اللذان ذكرهما هذان الفاضلان لامرئية في صحتها لانها مفتتبان من التجربة  
والاخبار واكتنبا كحرث الارض الجيدة وعلاج المريض الدسب فويت طبيعته على مرضيه  
لا ينظر فيها الى خبقة فعل الحرث بالارض وتطبيقه على احوالها المختلفة ولا الى خبقة  
فعل الدواء بالجسم ووجوب اختلافه باختلاف احوال المريض والمرض ولذلك فتحاجها  
حاصل من سلامة الطبع وحسن الاستعداد الفطري

وقد مضى على المدارس الشرقية الف سنة فاكثرت فكان من نتائجها ما نراه بعيوننا من  
الانحطاط المتزايد والتقهقر المتواصل علماً ومالاً وصناعة وزراعة وسبابة. ولا تحجب ان  
ما حدث ناتج كله عن الخلل السياسي الذي وقع في مالكة المشرق فان للعلم اليد الطولى  
في كل ارتفاع وللبهل اليد الطولى في كل انحطاط ولو كان التعليم عندنا بالتمام بلوغ التعليم  
في اوربا ما فاتتنا اوربا بعد ان كانت منخطة عنا ولا انحططنا عنها بعد ان كنا فوقها فان  
الشرقي ليس دون الغربي في استعداده النظري ودليلنا على ذلك مجاراة الغربى الآن اذا  
تساوت وساخطها بل انه ينوق الغربي في غالب الاحيان وذلك دليل قاطع على ان وساخط  
التعليم والتهديب التي اعتمدنا عليها الى الآن قاصرة عن ان تجعلنا تجاري ام اوربا

وفي القرن الثاني عشر للميلاد افتدى الاوربيون بالعرب وانشأوا المدارس الكبيرة  
فانشت مدرسة بولونيا في ايطاليا وبلغ عدد تلامذتها في اواخر القرن الثاني عشر اثني عشر  
الفا وكانت تعلم الفقه وانشئت مدرسة سالارنو لتعليم الطب ومدرسة باريس لتعليم  
اللاهوت والفلسفة. ولم يفض القرن الخامس عشر حتى عممت المدارس الكبيرة مالكة اوربا  
وجعل علماءها يهتمون باصلاح التعليم واقامت على اسس معتولة ومنهم اراسموس الذي نشأ في  
اواخر القرن الخامس عشر واوائل السادس عشر ومن القواعد التي وضعها لذلك انه يجب  
على كل تلميذ ان يدرس اللغة اليونانية واللغة اللاتينية وان تكون طريق التعليم ما يدعو  
الطالب الى الرغبة في العلم والتشوق اليه ولا يكون فيها شيء يدعو الى الملل والسآمة  
ويجب ان يعلم الطلبة صناعة كالتصوير والنقش. وتعليم النبات ضروري مثل تعليم  
الصبيان ولترية الولد في بيت ابيه التأثير الاقوى في نفسه. ويجب ان يلتفت الى الميل  
الفطري ولا يهجر الاولاد على ما يشرون منه بالنظره فان مجاراة النظره ادعى الى النجاح من

معا كتبها . وبقى التعليم الى ذلك العهد محدثاً بالطبقة العليا والوسطى من الناس واما الفقراء فكانوا محرومين منه وأول من اشرك ابناء الفقراء في لونيروس المصلح العظيم فكان ما فعله اساساً لما نراه الآن من عظمة جرمانيا وتقدم شعبها على كل شعوب اوربا في العلم والعرفان وساعده في ذلك قرينة ملكيون واصحاب كتب التدريس وألف كتباً ابدائية في النحو والمنطق والبيان والطبيعات . وتوالى المصلحون بعدها وكل منهم يقتبس من اخباره اموراً كلية يجعلها قواعد للتعليم او ينظم كتب التعليم بموجبها . ومن اشهر هذه القواعد قواعد العالم رنكي الذي نشأ في اواخر القرن السادس عشر واولائل القرن السابع عشر ومنها ما يأتي لا تعلم علمين في وقت واحد علم العلوم بلغة التلامذة لا بلغة اجنبية لا تجبر التلامذة على التعلم ولا تستعمل العصا ولا تدعهم يتظاهرون شيئاً واعظيهم فرصة كافية للراحة والرياضة ولا تعلمهم ساعتين متواليتين علمهم القصة ثم برهانها ولا تعلمهم قاعدة قبلما تصرب لهم امثلة عليها واعتمد في العلم على الاستنراء والامتحان . ولم يزل أكثر هذه القواعد معرولاً يذو الى الآن . ومنها قواعد كونيوس واشهرها وجوب تعليم الاشياء مع الاسماء وقد سهل بذلك تعليم اللغات الحديثة التي بضع جانب كبير من الوقت في تعلمها

ولكن ما لبثت هذه القواعد حتى صارت احكاماً يفتبعها المعلمون حرفياً غير ناظرين الى غايتها ولا مهتمين بتطبيقها على مقتضيات الحال . وقصروا اهتمامهم على تهذيب القوى العقلية غير ملتفتين الى القوى الادية . وقد رأى بعضهم هذه العيوب وتدبوا بها وشاروا بطرق ملاقاتها وكان السابقون منهم الى اصلاح التعليم من طائفة البروتستانت فنقلوا غيرهم في تعليم ابنائهم وارقتاه بلدانهم الا ان الجزويت قاموا في اواخر القرن السادس عشر ووضعوا قواعد لاصلاح التعليم لم تزل مرعبة الى يومنا هذا مع ما دخلها من التغيير مراعاة لاحوال الزمان وتقدم العمران وقد نهى لهم بالنفيل في ذلك الفيلسوفان باكون وديكارط ولا يلقى بمصنف ان بعضهم منهم فانهم اصلحو التعليم في اوربا حينئذ ولاسيما في الممالك الكاثوليكية لكن يتفقد على اسلوبهم انهم صاروا يراقبون التلميذ مراقبة شديدة تجعله عبداً لهم ويستقصون قوى تنسوا الى اعنى مخادعها لكي يبدلوها بقوى اخرى تنمو مكانها . ويدربون كل عقل بحسب ميله الفطري لكي يكون آلة في يدهم . ويهتمون بالحنفلات المدرسية وتوزيع الجوائز ونحو ذلك ما يبرر الوالدين ولو لم يقد التلامذة فائزته كبيرة . ويعلمون العلوم المعروفة في عصرهم لكي لا يكونوا دون غيرهم ولكنهم لا يبذلون الجهد في توسيع نطاق العلم واكتشاف الحقائق العلمية والبحث عن التوايس الطبيعية . والمرحح انهم سيعدلون عن هذه الخطة ويعودون الى الاهتمام

بامر التعليم حتى يبنى لم المقام الاول فيه

وسنة ١٧٩٢ نشر روسو كتابه في التعليم فكان له اعظم وقع في النفوس لانه اشار  
بانتاج منجح الطبع في تربية الاطفال . واقبال الناس على هذا الكتاب مع ما فيه من  
المستحبات دليل على ان التعليم كان في حالة الضعف الشديد فرحب الناس بكل دواء  
لعلاجه ويقال ان النفوس كبرت وقامت قائمة الثورة الفرنسية من تأثيره فيها  
وفي تلك الاثناء نشأ بستالوزي الذي اصح صناعة التعليم اكثر من كل من تقدمه  
وكانت ولادته في مدينة زورك بسويسرا سنة ١٧٤٦ واشتهر بحبه للتلامذته واثارهم على نفسه  
وبالاجاب البسيط الذي جرى عليه في تعليمهم . وارتقت صناعة التعليم رويداً رويداً في  
اوربا واميركا الى ان قام هربرت سبنسر واسكندر باين النيلسونان الانكليزيان ووضعاهما  
على اسس علمية فيسولوجية وعنقبة . وسنأتي على بسط اساليبهما في بعض الاجراء التالية .  
هذا من جهة صناعة التعليم اما علم التعليم لم يتقدم كما تقدمت صناعته لكثرة ما فيه من  
الشعاب والغوامض ولانه مبني على العلم بقوى النفس وكيفية نموها وارتقائها وهذا العلم لم  
يزل في نشأته ولم يكشف الا التزم من حفائمه



## نودان السفن

اقبل الصيف مجره وعثوره وم كثيرون من تزلاه الديار المصرية على مغادرتها  
الى الديار الشامية او الاوربية حتى اذا بلغوا ميناء الاسكندرية ورأوا السفن الراسية فيه  
قابلها بعضهم بوجه باس وبمضهم بوجه عيوس فان ركوب البحار فكافة عند من لا بصيبه  
الدوار ولا بعباء بحركات السفينة وسكانتها واضطراب البحر وهجوعه فياكل اضعاف ما  
ياكل على البرويسر وبطربو وبعد السفر فرصة من فرص الزمان فتدبى بكل مرتخص وغال .  
وهو بيلة على من يترصده الدوار على شطوط البحار فلا ترد به السفينة حتى تنود امعاؤه في  
بطلو وتذبقة الامرئين فيستعيبض عن لذة السفر ومسامرة الحلالن برارة الصرافه وغطيط النية  
والجشاه ولا يطيب له طعام ولا شراب ولا حديث ولا منام هذا اذا استطاع ان ياكل او  
يشرب او يتكلم او ينام والافيتوسد سريه او يهرغ في قيده الى ان تعرجه السفينة على البر  
ومن العجيب ان سفن المتأخرين البخارية فاقت سفن المتقدمين الشراعية في كل شيء  
وبلغت من الاتقان في آلتها مبلغاً لم يخظر على بال المتقدمين ولكنها صارت دون سفن  
المتقدمين في ثوبها فان السفينة الشراعية الطويلة السواري اقل نوداناً من السفن البخارية